بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا ـ أمَّة الإسلام ـ خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولاً منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

لَمَّا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصيل وموردها المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية من إيجاد الخليقة، والأساس لعمارة هذا الكون، وبفقدها يكون فساده وخرابه واختلاله، كما قال الله تعالى: {**لو كان فيهما آلهة إلاَّ الله لفسدتا فسبحان الله ربِّ العرش عمَّا يصفون**}[1]، وقال سبحانه: {**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنَّ يتنزَّل الأمر بينهنَّ لتعلموا أنَّ الله على كلِّ شيء قدير وأنَّ الله قد أحاط بكلِّ شيء علماً**}[2]، إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) الأنبياء: ٢٢.

(٢) الطلاق: ١٢.

لَمَّا كان الأمر على هذا القدر من الأهمية كانت الحاجة إلى بيانها وإيضاحها وذِكر دلائلها أشدَّ الحاجات وأولى الضرورات، ولَمَّا كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله على علم وبصيرة وأسُسٍ واضحةٍ ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه، كما قال سبحانه: {**وإنْ من أمَّة إلاَّ خلا فيها نذير**}[1]، وقال سبحانه: {**ثمَّ أرسلنا رسلَنا تَتْراً**}[2]، أي يتبع بعضُهم بعضاً إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ﷺ، فبلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين من ربِّه، ودعا إلى الله سرًّا وجهراً، وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى، فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولم يزل داعياً إلى الله هادياً إلى صراطه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين، وأتمَّ به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجاً، ولم يَمُت ﷺ حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمة، وأنزل في ذلك سبحانه تنصيصاً وتبياناً قوله: {**اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتْممتُ عليكم نِعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً**}[3].

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه،

---

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) المؤمنون: ٤٤

(٣) المائدة: ٣.

كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: « مُحال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنَّه علَّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد »[١].

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ الشرك كلِّه كبيره وصغيره شأن جميع المرسلين؛ إذ إنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلك، متضافرون على الدعوة إلى الله، بل هو منطلقُ دعوتهم وزبدة رسالتهم وأسس بعثتهم، يقول الله تعالى: {**ولقد بعثنا في كلِّ أمَّة أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم مَن هدى الله ومنهم من حقَّت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذِّبين**}[٢]، وقال: {**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاَّ نوحي إليه أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون**}[٣]، وقال تعالى: {**واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلـهة يُعبدون**}[٤]، وقال تعالى: {**شرع لكم من الدَّين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّين ولا تتفرَّقوا فيه**}[٥].

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: « الأنبياء إخوة لعلاَّت، أُمَّهاتهم شتَّى

---

(١)

(٢) النحل: ٣٦

(٣) الزخرف: ٤٥.

(٤) الشورى: ١٣.

(٥) الشورى: ١٣.

ودينهم واحد »[1]، فالدِّين واحدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قال تعالى: {**لكلٍّ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجاً**}[2].

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّراً لدى كلِّ مسلم وواضحاً لدى كلِّ مؤمن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للاجتهاد والأخذ والعطاء، وإنَّما الواجب على كلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين، وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشكُّكٍ أو تردُّدٍ، {**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربِّه والمؤمنون كلٌّ آمنَ بالله وملائكته وكتبه ورُسله لا نفرِّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا وإليك المصير**}[3].

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم الإيمان والتسليم والإذعان والقبول، وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقَّق له الأمن والأمان، وتزكو نفسُه، ويطمئنَّ قلبُه، ويسعد بذلك سعادة لا يشقى بعدها أبداً، ويكون بعيداً تمام البعد عمَّا يقع فيه ضُلاَّل الناس في عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأُسُسها السليمة وقواعدها المتينة هي ـ دون غيرها ـ التي تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة؛ لوضوح

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٤٣)، وصحيح مسلم (٢٣٦٥).

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

معالمها، وصحَّة دلائلها، وسلامة براهينها وحججها، ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول المستقيمة، والقلوب السويَّة.

ولهذا فإنَّ العالَمَ الإسلامي كلَّه في أشدِّ الحاجة إلى الدعوة إلى هذه العقيدة الصافية النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلَّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهمَّ أسُسها وأبرزَ أصولها ومعالمها ممَّا لا غنى لمسلم عنه، ويجد ذلك كلَّه مقرونا بدليله، مدعَّماً بشواهده، فهو كتاب مشتمل على **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**، وهي أصول عظيمة موروثةٌ عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن كلٌّ مميِّز من صغير وكبير وفصيح وأعجم أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده، وإنَّا لنرجوه سبحانه أن ينفع به عمومَ المسلمين.

الباب الأول: توحيد الله تعالى

تمهيد

التوحيد في اللغة مصدر: وحَّد يوحِّد توحيداً، ومعناه الإفراد، ودين الإسلام إنَّما سُمي توحيداً؛ لأنَّ مبناه على أنَّ الله واحدٌ في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحدٌ في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحدٌ في ألوهيته وعبادته لا نِدَّ له.

وبهذا يُعلم أنَّ توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنَّ الله تعالى

ربٌّ كلِّ شيء ومليكُه وخالقُه ورازقُه، وأنَّه المحيي المميتُ النافعُ الضار، المتفرِّدُ بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كلُّه، وبيده الخير كلُّه، وإليه يُرجع الأمرُ كلُّه، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الأسماء والصفات، وهو الإقرار بأنَّ الله بكلِّ شيء عليم، وعلى كلِّ شيء قدير، وأنَّه الحيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنَّه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنَّه الـمَلِك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر، سبحان الله عمَّا يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

وهذا القسم والذي قبله متعلّقان بتوحيد المعرفة والإثبات.

القسم الثالث: توحيد الإلهية، وهو إفراد الله وحده بالذلِّ والخضوع والمحبَّة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له، ويُقال له: توحيد الإرادة والطلب.

ولكلِّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرة من الكتاب والسنة، بل إنَّ القرآنَ الكريم كلَّه إنَّما جاء لبيان هذا التوحيد وتقريره؛ فإنَّ القرآنَ إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، توحيد المعرفة والإثبات، وإمَّا دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلِّ ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمَّا أمرٌ ونهيٌ

وإلزامٌ بطاعته في أمره ونهيه، فهي حقوق التوحيد ومكمِّلاته، وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإمَّا خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلُّ بهم في العُقبى من العذاب، فهو خبرٌ عمَّن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كلُّه في التوحيد، وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فـ {**الحمد لله**} توحيد، {**ربِّ العالمين**} توحيد، {**الرحمن الرحيم**} توحيد، {**مالك يوم الدين**} توحيد، {**إيَّاك نعبد**} توحيد، {**وإيَّاك نستيعن**} توحيد، {**اهدنا الصراط المستقيم**} توحيد متضمِّنٌ لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد الذي أنعم الله عليهم بذلك، {**غير المغضوب عليهم ولا الضآلين**} الذين فارقوا التوحيد.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، أفاد هذه الحقيقة الشرعية، وهي أنَّ التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فمَن لم يأتِ بهذا جميعه فليس بمؤمن، وفيما يلي إشارة إلى جملة من الأدلة لكلِّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة.

١ ـ فمن أدلة توحيد الربوبية قول الله تعالى : {**الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ**} وقوله: {**ألاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ الله رَبُّ**

الْعَالَمِينَ}[1]، وقوله: {**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ**}[2]، وقوله: { **قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُون قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَـوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ** }[3]، وقوله: {**ذَالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**}[4]، وقوله: {**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**}[5]، وغيرها من الآيات.

٢ ـ ومن أدلة توحيد الألوهية قوله تعالى: {**الحَمْدُ للهِ**}؛ لأنَّ الله معناه المألوه المعبود، وقوله: {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**}، وقوله: { **ياأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[6]، وقوله: {**فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**}[7]، وقوله: {**قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئتُم مِن دُونِهِ**}[8]، وقوله: {**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ**

---

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩.

(٤) غافر: ٦٤.

(٥) الزمر: ٦٢.

(٦) البقرة: ٢١.

(٧) الزمر: ٢ ـ ٣.

(٨) الزمر: ١٤ ـ ١٥.

لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}[1]، وغيرها من الآيات.

٣ ـ ومن أدلة توحيد الأسماء والصفات قوله تعالى: {**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**}، وقوله: { **قُلِ ادْعُوا الله أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى**}[2]، وقوله: {**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**}[3]، وقوله: {**الله لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى**}[4]، وقوله: {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**}[5]، وآخر سورة الحشر، وغيرها من الآيات.

ثم إنَّ لكلِّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة ضدًّا.

فتوحيد الربوبية ضدُّه اعتقاد العبد وجود متصرِّف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله عزَّ وجلَّ.

وتوحيد الأسماء والصفات ضدُّه شيئان:

أحدهما: نفي أسماء الله الحسنى وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة في الكتاب والسنة.

والثاني: تشبيه صفات لله تعالى بصفات خلقه تعالى الله عن ذلك.

وتوحيد الألوهية ضدُّه صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) البينة: ١٥.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) مريم: ٦٥.

(٤) طه: ٨.

(٥) الشورى: ١١.

قال الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطَّة العكبري المتوفى سنة (٣٧٨هـ) في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ما نصُّه: « وذلك أنَّ أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً .

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه؛ إذ قد علمنا أنَّ كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده؛ ولأنَّا نجد الله تعالى
قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها »[(١)].

ثم إنَّ هذه الأقسام الثلاثة متلازمة، كلُّ نوع منها لا ينفكُّ عن الآخر، فمن أتى بنوع منها لزمه أن يأتي بباقيها ليصحَّ توحيده، وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وكثيراً ما يأتي في القرآن الكريم إلزامُ المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليُقرُّوا بتوحيد الألوهية، وكذلك توحيد الأسماء

---

(١)

والصفات مستلزمٌ لتوحيد الألوهية؛ إذ إنَّ لازم من أقرَّ بأسماء الله الحسنى وصفاته العظيمة ان يُفردَه بالذلِّ والخضوع والخوف والرجاء وسائر أنواع العبادة، أما توحيد الألوهية فإنَّه متضمِّنٌ لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وفيما يلي فصولٌ ثلاثة، في كلِّ فصل منها بيان لقسم من هذه الأقسام.

الفصل الأول: توحيد الربوبية

المبحث الأول: معناه وأدلَّتُه من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

الربوبية مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الربِّ، والربُّ في كلام العرب متصرِّفٌ على معانٍ: فالسيِّد المطاع فيها يُدعى ربًّا، والسيِّد المربِّي يُدعى ربًّا، والمالك للشيء يُدعى ربه، وقد يتصرَّف أيضاً في معان أخرى غير أنَّها تعود إلى بعض هذه الوجوه المتقدِّمة، وربُّنا جلَّ ثناؤه السيِّد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر.

وعليه فإنَّ توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله ومنها السيادة والإنعام والملك والرزق والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإنَّ الواجب على العبد أن يؤمن ـ فيما يتعلَّق بأفعال الربوبية بما يلي:

١ ـ أنَّ الله هو وحده السيِّد، فلا سيادة في هذا الكون على الخلق إلاَّ له وحده، فهو سبحانه السيد الذي كمل في سؤدده الذي له السيادة المطلقة على الخلق أجمعين، كما قال ﷺ: ((السيِّد الله تبارك وتعالى))، رواه أبو داود وأحمد[1].

---

(١) سنن أبي داود (٤٨٠٦)، والمسند (٢٤/٤).

٢ ـ أنَّ الله هو وحده الخالق، أي المقدر للأشياء والموجد لها على مقتضى مشيئته {**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**}[١].

٣ ـ أنَّ الله وحده هو البارئ أي المنشئ للمخلوقات والموجد لها من العدم، كما قال تعالى: {**أوَلا يذكر الإنسان أنَّا خلقناه من قبل ولم يكُ شيئاً**}[٢].

٤ ـ أنَّ الله وحده هو المصوِّر لصُوَر خلقه على كثرتهم واختلاف أشكالهم، كما قال تعالى: {**وصوَّركم فاحسن صُوَرَكم**}[٣].

٥ ـ أنَّ الله وحده الرزاق، الذي ضمن رزق كلِّ مخلوق، كما قال سبحانه: {**وما من دابَّة في الأرض إلاَّ على الله رزقها**}[٤].

٦ ـ أنَّ الله وحده هو النافع لعباده بما يشاء، والضار لمن يستحقُّ منهم الضُر بما يشاء سبحانه، وقد ثبت في الترمذي وغيره أنَّ النبيَّ ﷺ قال في وصيَّته لابن عباس رضي الله عنهما: ((... واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت

---

(١) لقمان: ١١.

(٢) مريم: ٦٧.

(٣) غافر: ٦٤.

(٤) هود: ٦.

الأقلام وجفّت الصحف »[1].

٧ ـ أنَّ الله وحده المحيي المميت، كما قال سبحانه: {**وإنَّا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون**}[2].

٨ ـ أنَّ الله وحده المدبِّر لأمر هذا الكون كلِّه، كما قال تعالى: {**ثم استوى على العرش يدبِّر الأمر**}[3].

٩ ـ أنَّ الله وحده المجيب للمضطر إذا دعاه، والكاشف للسوء، كما قال تعالى: {**أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءِله مع الله قليلا ما تذكَّرون**}[4].

١٠ ـ أنَّ الله وحده هو الذي بيده الشفاء والصحة والعافية، كما قال تعالى فيما حكاه عن إبراهيم عليه السلام: {**وإذا مرضتُ فهو يشفين**}[5].

١١ ـ أنَّ الله وحده المعطي المانع الخافض الرافع الذي لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، ولا خافض لما رفع، ولا رافع لما خفض، {**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده**}[6].

١٢ ـ أنَّ الله وحده المربِّي لجميع العالمين، وتربيته

---

(١) سنن الترمذي (٢٥٢١)، ومسند أحمد (٣٠٧/١).

(٢) الحجر: ٢٣.

(٣) يونس: ٣.

(٤) النحل: ٦٢.

(٥) الشعراء: ٨٠.

(٦) فاطر: ٢.

سبحانه لهم على نوعين، عامة وخاصة:

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين ورَزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه فيُربِّيهم بالإيمان ويُوفِّقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبين تحقيقه، وحقيقتها تربية التوفيق لكلِّ خير، والعصمة من كلِّ شر.

دلالات توحيد الربوبية:

إنَّ الأدلَّة على تفرُّد الله بالربوبية على الخلق كثيرةٌ جدًّا لا يمكن حصرها أو استقصاؤها؛ إذ إنَّ جميع ذرَّات هذا الكون دالَّة على مُبدعها وخالقها، وفي كلِّ شيء له آية تدلُّ على أنَّه الواحد، والقرآن الكريم مليء بذكر النصوص والأدلة على هذا التوحيد، وقد مرَّ معنا طرفٌ منها.

ومن دلالات هذا التوحيد ما يلي:

١ ــ الفطرة:

ذلك أنَّ الله سبحانه قد فطر جميع خلقه على الإقرار بأنَّه وحده الخالق الرازق المدبِّر لشؤون الخلق لا شريك له، فالإقرار بالصانع أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، لا يستطيع أحدٌ دفعه، بل إنَّ المشركين في الجاهلية كانوا مُقرِّين به، كما قال الله تعالى: {**ولئن سألتهم مَن خلق السموات والأرض وسخَّر الشمس والقمر ليقولنَّ الله فأنَّى**

يؤفكون}[1]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

٢ ــ دلالة الأنفس:

فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدَّالة على تفرُّد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال تعالى: {**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**}[2]، وقال تعالى: {**ونفس وما سوَّاها**}[3]، ولهذا لو أنَّ الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشده ذلك إلى أنَّ له ربًّا خالقاً حكيماً خبيراً؛ إذ هل يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها؟

أو أن يحوِّلها إلى علقة، أو يحوِّل العلقة إلى مضغة، أو يحوِّل المضغة عظاماً، أو يكسو العظام لحماً؟

أو هل يستطيع أن يُصوِّر خلقَه في رحم أمِّه؟

أو هل يستطيع أن ينفخ الروح في نفسه؟

أو هل يستطيع أن يشغل قلبه بهذا النظام الدقيق على مدى حياته سنين عدداً لا يتوقَّف فيها لحظة؟

أو هل يستطيع أن يشغل ما بداخل المعدة والأمعاء والكبد وغير ذلك؟

أو هل يستطيع أن يمدَّ عينيه ببصرهما؟ أو أذنيه بسمعهما؟ أو عقله بإدراكه؟

أو هل يستطيع أن يسخر الهواء ليدخل من أنفه إلى جهازه

---

(١) العنكبوت: ٦١.

(٢) الذاريات: ٢١.

(٣) الشمس: ٧.

التنفسي فيأخذ حاجته اللازمة لحياته؟

هل يستطيع أن يفعل شيئاً من ذلك أو ما شاكله مهما أوتي من علوم أو خبرات أو مهرات أو أدوات؟

فكلٌّ ذلك دالٌّ على أنَّ خالقه هو الله الواحد القهار، ربُّ السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفَّار.

٣ ــ دلالة الآفاق:

وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدَّالة على ربوبيَّته، قال الله تعالى: {**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنَّه الحق أوَلَم يكفِ بربِّك أنَّه على كلِّ شيء شهيد**}[١].

ومن تأمَّل الآفاق وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار؛ دلَّه ذلك على أنَّ هناك خالق لهذا الكون، موجد له مدبِّر لشؤونه، وكلَّما تدبَّر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكرُه في بدائع الكائنات علم أنَّها خُلقت للحقِّ وبالحقِّ، وأنَّها صحائفُ آياتٍ، وكتبُ براهين ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيَّته.

وقد جاء في بعض الآثار أنَّ قوماً أرادوا البحثَ مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم رحمه الله: ((

---

(١) فصِّلت: ٥٣.

أخبروني قبل أن نتكلَّم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كلُّ ذلك من غير أن يديرها أحد؟

فقالوا: هذا مُحال لا يمكن أبداً. فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة فكيف في هذا العالَم كلِّه عُلوِه وسفلِه؟))[1].

فنبَّه إلى أنَّ اتِّساقَ العالم ودقة صنعه وتمام خلقه دليلٌ على وحدانية خالقه وتفرُّده.

---

(١)

المبحث الثاني: بيان أنَّ الإقرار بهذا التوحيد وحده لا يُنجي من العذاب.

إنَّ توحيد الربوبيَّة هو أحدُ أنواع التوحيد الثلاثة كما تقدَّم، ولذا فإنَّه لا يصح إيمانُ أحد ولا يتحقَّق توحيدُه إلاَّ إذا وحَّد الله في ربوبيَّته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام، ولا يُنجي وحده من عذاب الله ما لم يأت العبدُ بلازمه توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: {**وما يؤمن أكثرهم بالله إلاَّ وهم مشركون**}[1]، والمعنى أي: ما يُقرُّ أكثرهم بالله ربًّا وخالقاً ورازقاً ومدبِّراً ـ وكلُّ ذلك من توحيد الربوبية ـ إلاَّ وهم مشركون معه في عبادته غيرَه من الأوثان والأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تُعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسِّرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا : الله وهم مشركون)) .

وقال عكرمة: ((تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره)) .

وقال مجاهد: ((إيمانهم قولهم : الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره)).

---

(١) يوسف: ١٠٦.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: « ليس أحد يعبد مع الله غيره إلاَّ وهو مؤمن بالله ويعرف أنَّ الله ربُّه، وأنَّ الله خالقُه ورازقُه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم : {**أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ**}[1] »[2].

والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كان المشركون زمن النبي ﷺ مُقرِّين بالله ربًّا خالقاً رازقاً مدبِّراً، وكان شركُهم به من جهة العبادة حيث اتَّخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دلَّ القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبيَّة الله مع إشراكهم به في العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: {**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخَّر الشمس والقمر ليقولنَّ الله فأنَّى يؤفكون**}[3]، وقوله تعالى: {**ولئن سألتهم من نزَّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنَّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون**}[4]، وقوله تعالى: {**ولئن سألتهم مَن خلقهم ليقولنَّ الله فأنَّى يؤفكون**}[5]، وقوله تعالى: {**قل لِمَن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكَّرون قل من ربُّ**

---

(١) الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (٣١٢/٧ ـ ٣١٣).

(٣) العنكبوت: ٦١.

(٤) العنكبوت: ٦٣.

(٥) الزخرف: ٨٧.

السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتَّقون قل من بيده ملكوت كلِّ شيء وهو يجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنَّى تُسحرون}[1].

فلم يكن المشركون يعتقدون أنَّ الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبِّر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أنَّ ذلك من خصائص الربِّ سبحانه، ويُقرِّون أنَّ أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئاً، ويُقرّون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى اوثانهم شيء من ذلك ، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: {**والذين اتَّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاَّ ليُقرِّبونا إلى الله زلفى**}[2]، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

وبهذا يتبيَّن أنَّ الإقرار بتوحيد الربوبيَّة وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا يُنجي من عذاب الله، بل هو حجَّة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدِّين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة.

---

(١) المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩.

(٢) الزمر: ٣.

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبيّة.

بالرغم من أنَّ توحيد الربوبيّة أمرٌ مركوزٌ في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرةٌ على تقريره الأدلة، إلاَّ أنَّه وُجد في الناس من حصل عنده انحرافٌ فيه، ويُمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

١ ـ جحد ربوبيّة الله أصلاً وإنكار وجوده سبحانه، كما يعتقد ذلك الملاحدةُ الذين يُسندون إيجاد هذه المخلوقات إلى الطبيعة، أو إلى تقلُّب الليل والنهار، أو نحو ذلك {**وقالوا ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يُهلكنا إلاَّ الدَّهر**}[١].

٢ ـ جحد بعض خصائص الربِّ سبحانه وإنكار بعض معاني ربوبيّته، كمن ينفي قدرة الله على إماتته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضُّر عنه، أو نحو ذلك.

٣ ـ إعطاء شيء من خصائص الربوبيّة لغير الله سبحانه، فمَن اعتقد وجود متصرِّف مع الله عزَّ وجلَّ في أيِّ شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شرٍّ أو غير ذلك من معاني الربوبيّة فهو مشركٌ بالله العظيم.

---

(١) الجاثية: ٢٤.

الفصل الثاني: توحيد الألوهية.

الألوهية مشتقَّة من اسم الإله، أي المعبود المطاع، فالإله اسم من أسماء الله الحسنى، والألوهية صفةٌ من صفات الله العظيمة، فهو سبحانه المألوه المعبود الذي يجب أن تألهه القلوب وتخضع له وتذلَّ وتنقاد؛ لأنَّه سبحانه الربُّ العظيم، الخالقُ لهذا الكون، المدبِّرُ لشؤونه، الموصوفُ بكلِّ كمال، المنزَّهُ عن كلِّ نقصٍ، ولهذا فإنَّ الذلَّ والخضوع لا ينبغي إلاَّ له، فحيث كان متفرِّداً بالخلق والإنشاء والإعادة لا يشركه في ذلك أحدٌ وجب أن ينفردَ وحده بالعبادة دون سواه لا يُشرك معه في عبادته أحد.

فتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة، وذلك بأن يعلم العبدُ علمَ اليقين أنَّ الله وحده هو المألوه المعبود على الحقيقة، وأنَّ صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات ولا يستحقُّها إلاَّ الله تعالى، فإذا علم العبد ذلك واعترف به حقًّا أفرد الله بالعبادة كلِّها الظاهرة والباطنة، فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبرِّ الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه، لا يقصد بشيء من ذلك غرَضاً من الأغراض غير رضا ربِّه وطلب ثوابه.

وفي هذا الفصل سيتمُّ تناول جملةٍ من المباحث المهمَّة المتعلّقة بهذا النوع من التوحيد.

المبحث الأول: أدلَّتُه، وبيان أهميَّته.

المطلب الأول: أدلَّتُه.

لقد تضافرت النصوص وتظاهرت الأدلة على وجوب إفراد الله بالألوهية، وتنوَّعت في دلالتها على ذلك:

١ - تارة بالأمر به، كما في قوله تعالى: {**يا أيُّها الناس اعبدوا ربَّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلَّكم تتَّقون**}(١)، وقوله: {**واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً**}(٢)، وقوله: {**وقضى ربُّك أن لا تعبدوا إلاَّ إيَّاه**}(٣)، ونحوها من الآيات.

٢ - وتارة بيان أنَّه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين، كما قال تعالى: {**وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلاَّ ليعبدون**}(٤).

٣ - وتارة ببيان أنَّه المقصود من بعثة الرسل كما في قوله تعالى: {**ولقد بعثنا في كلّ أمَّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**}(٥)، وقوله: {**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاَّ نوحي إليه أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون**}(٦).

٤ - وتارة ببيان أنَّه المقصود من إنزال الكتب الإلـهية،

---

(١) البقرة: ٢١.

(٢) النساء: ٣٦.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) الذاريات: ٥٦.

(٥) النحل: ٣٦.

(٦) الأنبياء: ٢٥.

كما في قوله تعالى: {**ينزِّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون**}[1].

٥ ـ وتارة ببيان عظيم ثواب أهله وما أعدَّ لهم من أجور عظيمة ونِعم كريمة في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: {**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**}[2].

٦ ـ وتارة بالتحذير من ضدِّه، وبيان خطورة مناقضته، وذكر ما أعدَّ سبحانه من عقاب أليم لِمَن تركه، كقوله تعالى: {**إنَّه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنَّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**}[3]، وقوله تعالى: {**ولا تجعل مع الله إله آخر فتُلقى في جهنَّم ملوماً مدحوراً**}[4].

إلى غير ذلك من أنواع الأدلَّة المشتملة على تقرير التوحيد والدعوة إليه والتنويه بفضله وبيان ثواب أهله وعِظم خطورة مخالفته.

والسنة النبوية كذلك مليئة بالأدلة على هذا التوحيد وأهميَّته، من ذلك:

١ ـ ما رواه البخاري في صحيحه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: « يا معاذ أتدري ما حقُّ الله

---

(١) النحل: ٢.

(٢) الأنعام: ٨٢.

(٣) المائدة: ٧٢.

(٤) الإسراء: ٣٩.

على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، أتدري ما حقُّهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن لا يُعذِّبهم »[1].

٢ ـ وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لمَّا بعث النبيُّ ﷺ معاذاً نحو اليمن قال له: « إنَّك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أولَ ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم خمس صلوات ... »، الحديث، رواه البخاري[2].

٣ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « مَن مات وهو يدعو مع لله ندًّا دخل النار »، رواه البخاري[3].

٤ ـ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال:
« مَن لقي الله لا يُشرك به شيئاً دخل الجنَّة، ومن لقيه يُشرك به شيئاً دخل النار »، رواه مسلم[4].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

المطلب الثاني: بيان أهميَّته وأنَّه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أنَّ توحيد الألوهية هو أعظم الأصول على

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٧٣).
(٢) صحيح البخاري (٧٣٧٢).
(٣) صحيح البخاري(٤٤٩٧).
(٤) صحيح مسلم (٩٣).

الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجنَّ والإنسَ لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشرُّ والفساد، ولذا كان هذا التوحيد زبدةَ دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم، يقول الله تبارك وتعالى: {**ولقد بعثنا في كلِّ امَّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**}[1]، وقال: {**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاَّ نوحي إليه أنَّه لا إله إلاَّ أنا فاعبدون**}[2].

وقد دلَّ القرآن الكريم في مواطن عديدة أنَّ توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأنَّ كلَّ رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له، قال الله تعالى: {**وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**}[3]، وقال تعالى: {**وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**}[4]، وقال تعالى: {**وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**}[5].

المطلب الثالث: بيان أنَّه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

تقدَّم أنَّ توحيدَ العبادة هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم،

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) الأعراف: ٦٥.

(٤) الأعراف: ٧٣.

(٥) الأعراف: ٨٥.

فما من رسول بعثه الله إلاَّ وكان أولَ ما يدعو قومَه إليه هو توحيدُ الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرُّون على البقاء على الشرك وعبادة الأوثان إلاَّ من هداه الله منهم.

قال الله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: {**وقالوا لا تذرُنَّ آلـهتكم ولا تذرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلُّوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلاَّ ضلالا**}[1]، وقال عن قوم هود عليه السلام: {**قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلـهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنتَ من الصادقين**}[2]، {**قالوا يا هود ما جئتنا ببيِّنة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين**}[3].

وقال عن قوم صالح عليه السلام: {**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا أتنهانا أن نعبدَ ما يعبد آباؤنا وإنَّنا لفي شكٍّ ممَّا تدعونا إليه مريب**}[4].

وقال عن قوم شعيب عليه السلام: {**قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنَّك لأنت الحليم الرشيد**}[5].

---

(١) نوح/٢٣ ـ ٢٤.
(٢) الأحقاف: ٢٢.
(٣) هود: ٥٣.
(٤) هود: ٦٢.
(٥) هود: ٨٧.

وقال عن كفَّار قريش: {**وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذَّاب أجعل الآلـهة إلـهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عُجاب وانطلق الملأ منهم أنِ امشوا واصبروا على آلـهتكم إنَّ هذا لشيء يُراد ما سمعنا بهذا في الملَّة الآخرة إن هذا إلاَّ اختلاق**}(1).

وقال: {**وإذا رأوك إن يتَّخذونك إلاَّ هُزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً إن كاد ليُضلُّنا عن آلـهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلُّ سبيلاً أرأيتَ من اتَّخذ إلـهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسبُ أنَّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنْ هم إلاَّ كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً**}(2).

فهذه النصوص وما جاء في معناها تدلُّ أوضح دلالة أنَّ المعترك والخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنَّما كان حول توحيد العبادة والدعوة إلى إخلاص الدين لله.

وقد ثبت في الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلاَّ بحق الإسلام وحسابهم على الله))(3).

وثبت في الصحيح أيضاً عن النبي ﷺ قال: ((من قال لا إله إلاَّ الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه إلى

---

(1) ص: ٤ ـ ٧.

(2) الفرقان: ٤١ ـ ٤٤.

(3) صحيح البخاري (٢٥)، وصحيح مسلم(٢٢).

الله))[1].

(١) صحيح مسلم (٢٣).

المبحث الثاني: وجوب إفراد الله بالعبادة، وتحته مطالب.

المطلب الأول: معنى العبادة والأصول التي تُبنى عليها.

العبادة في اللغة: الذُّل والخضوع، يُقال: بعير معبد، أي: مذلل، وطريق معبد: إذا كان مذلّلاً قد وطئته الأقدام.

وشرعاً: هي اسم جامع لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند ذكر بعض أنواع العبادة.

وهي تُبنى على ثلاثة أركان:

الأول: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالى: {**والذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله**}[1].

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالى: {**ويرجون رحمته**}[2].

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قال تعالى: {**ويخافون عذابه**}[3].

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتاب في قوله سبحانه: {**الحمد لله ربِّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدِّين**}، فالآية الأولى فيها المحبة؛ فإنَّ الله منعم، والمنعم يُحبُّ على قدر إنعامه، والآية الثانية فيها

---

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) الإسراء: ٥٧.

(٣) الإسراء: ٥٧.

الرجاء، فالمتصف بالرحمة تُرجى رحمته، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يُخاف عذابه.

ولهذا قال تعالى عقب ذلك: {**إيَّاك نعبد**}، أي: أعبدك يا ربِّ بهذه الثلاث: بمحبَّتك التي دل عليها: {**الحمد لله ربِّ العالمين**}، ورجاءك الذي دلَّ عليه: {**الرحمن الرحيم**}، وخوفك الذي دلَّ عليه: {**مالك يوم الدِّين**}.

والعبادة لا تُقبل إلاَّ بشرطين:

١ ـ **الإخلاص فيها للمعبود**؛ فإنَّ الله لا يقبل من العمل إلاَّ الخالص لوجهه سبحانه، قال تعالى: {**وما أمروا إلاَّ ليعبدوا الله مخلصين له الدِّين**}(١)، وقال تعالى: {**ألاَ لله الدِّين الخالص**}(٢)، وقال تعالى: {**قل الله أعبد مخلصاً له ديني**}(٣).

٢ ـ **المتابعة للرسول** ﷺ؛ فإنَّ الله لا يقبل من العمل إلاَّ الموافق لهدي الرسول ﷺ، قال الله تعالى: {**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**}(٤)، وقال تعالى: {**فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممَّا قضيتَ ويُسلِّموا تسليماً**}(٥).

فلا عبرة بالعمل ما لم يكن خالصاً لله صواباً على سنَّة رسول الله ﷺ، قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله

---

(١) البيِّنة: ٥.

(٢) الزّمر: ٣.

(٣) الزّمر: ١٤.

(٤) الحشر: ٧.

(٥) النّساء: ٦٥.

تعالى: {**لِيَبلوكم أيُّكم أحسن عملاً**}[1]: « أخلصه وأصوبه »، قيل: يا أبا علي، وما أخلصه وأصوبه؟ قال: « إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة »[2].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالى في آخر سورة الكهف: {**قل إنَّما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنَّما إلـهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربِّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربِّه أحداً**}[3].

المطلب الثاني: ذكر بعض أنواع العبادة.

العبادة أنواعها كثيرةٌ، فكلُّ عمل صالح يحبُّه الله ويرضاه قولي أو فعلي ظاهر أو باطن فهو نوع من أنواعها وفرد من أفرادها، وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة على ذلك:

١ ـ فمن أنواع العبادة: الدعاء، بنوعيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قال الله تعالى: {**فادعوا الله مخلصين له الدِّين**}[4]، وقال تعالى: {**وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً**}[5]، وقال

(١) هود:٧، الملك: ٢.
(٢) حليةالأولياء: (٨/٩٥).
(٣) الكهف: ١١٠.
(٤) غافر: ١٤.
(٥) الجنّ: ١٨.

تعالى: {**ومن أضلُّ ممَّن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حُشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**}[١].

فمَن دعا غير الله عزَّ وجلَّ بشي لا يقدر عليه إلاَّ الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيًّا أو ميِّتاً، ومن دعا حيًّا بما يقدر عليه مثل أن يقول: يا فلان أطعمني، أو يا فلان اسقني، ونحو ذلك فلا شيء عليه، ومن دعا ميِّتاً أو غائباً بمثل هذا فإنَّه مشرك؛ لأنَّ الميت والغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا.

والدعاء نوعان: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة، هو سؤال الله من خيري الدنيا والآخرة، ودعاء العبادة يدخل فيه كلُّ القربات الظاهرة والباطنة؛ لأنَّ المتعبِّد لله طالبٌ بلسان مقاله ولسان حاله من ربِّه قبول تلك العبادة والإثابة عليها.

وكلُّ ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء والنهي عن دعاء غير الله والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة ودعاء العبادة.

٢ ، ٣ ، ٤ ـ ومن أنواع العبادة: المحبة والخوف والرجاء، وقد تقدَّم الكلام عليها وبيان أنَّها أركان للعبادة.

٥ ـ ومن أنواعها: التوكل، وهو الاعتماد على الشيء، والتوكل على الله: الاعتماد عليه سبحانه كفاية وحسباً في جلب المنافع ودفع المضار، قال الله تعالى: {**وعلى الله فتوكَّلوا إن**

---

(١) الأحقاف: ٥ ـ ٦.

كنتم مؤمنين}[1]، وقال تعالى: {**ومن يتوكَّل على الله فهو حسبه}**[2].

٦ ، ٧ ، ٨ ـ ومن أنواع العبادة: الرغبة والرهبة والخشوع، والرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب، والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف، والخشوع: الذل والخضوع لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، قال الله تعالى في ذكر هذه الأنواع الثلاثة من العبادة: {**إنَّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين}**[3].

٩ ـ ومن أنواعها: الخشية، وهي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال الله تعالى: {**فلا تخشوهم واخشون}**[4].

١٠ ـ ومنها الإنابة، وهي الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته، قال الله تعالى: {**وأنيبوا إلى ربِّكم وأسلموا له}**[5].

١١ ـ ومنها: الاستعانة، وهي طلب العون من الله في تحقيق أمور الدين والدنيا، قال الله تعالى: {**إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين}**، وقال ﷺ:

---

(١) المائدة: ٢٣.

(٢) الطّلاق: ٣.

(٣) الأنبياء: ٩٠.

(٤) البقرة: ١٥٠، المائدة: ٣.

(٥) الزّمر: ٤٥.

((إذا استعنتَ فاستعن بالله)).

١٢ ـ ومنها: الاستعاذة، وهي طلب الإعاذة والحماية من المكروه، قال الله تعالى: {**قل أعوذ بربِّ الفلق من شرِّ ما خلق**}، وقال تعالى: {**قل أعوذ بربِّ الناس ملك الناس إلـه الناس من شرِّ الوسواس الخنَّاس**}.

١٣ ـ ومنها الإستغاثة، وهو طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدَّة والهلاك، قال الله تعالى: {**إذ تستغيثون ربَّكم فاستجاب لكم**}(١).

١٤ ـ ومنها الذبح، وهو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه الخصوص، قال الله تعالى: {**قل إنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين**}(٢)، وقال تعالى: {**فصلِّ لربِّك وانحر**}.

١٥ ـ ومنها النذر، وهو إلزام المرء نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة، قال الله تعالى: {**يوفون بالنَّذر ويخافون يوماً كان شرُّه مستطيراً**}(٣).

فهذه بعض الأمثلة على أنواع العبادة، وجميع ذلك حق لله وحده لا يجوز صرفُ شيء منه لغير الله.

ويمكن جعل أقسام العبادة تحت أقسام ثلاثة:

القسم الأول: عبادات القلب، كالمحبة والخوف والرجاء

---

(١) الأنفال:٩.

(٢) الأنعام:١٦٢.

(٣) الإنسان: ٧.

والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

المبحث الثالث: حماية المصطفى ﷺ جَنَاب التوحيد.

لقد كان النبي ﷺ حريصاً أشدَّ الحرص على أمَّته؛ لتكون عزيزةً منيعةً محققة لتوحيد الله عزَّ وجلَّ، مجانِبة لكلِّ الوسائل والأسباب المفضية لما يُضادُّه ويناقضه، قال الله تعالى: {**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**}[1].

وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وحذَّر وأنذر وأبدأ وأعاد وخصَّ وعمَّ في حماية الحنيفية السمحة ملَّة إبراهيم التي بعث بها من كلِّ ما قد يشوبها من الأقوال والأعمال التي يضمحلُّ معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ، فأقام الحجة، وأزال الشبهة، وقطع المعذرة، وأبان السبيل.

وفي المطالب التالية عرضٌ يتبيَّن من خلاله حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسدِّه كل طريق يُفضي إلى الشرك والباطل.

المطلب الأول: الرُّقى.

أ ـ تعريفها: الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلباً للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

ب ـ حكمها: الجواز، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: «كنَّا نرقي في

---

(١) التوبة: ١٢٨.

الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك))، رواه مسلم[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((رخَّص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة))، رواه مسلم[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل))، رواه مسلم[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منَّا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: ((أذهِب الباس ربَّ الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلاَّ شفاؤك شفاء لا يُغادر سقماً))، رواه البخاري ومسلم[4].

جـ ـ شروطها: ولجوازها وصحَّتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يُعتقد أنَّها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنَّها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرَّم، بل هو شرك، بل يعتقد أنَّها سبب لا تنفع إلاَّ بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمِّنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجنِّ وما أشبه ذلك، فإنَّها محرَّمة، بل شرك.

---

(١) صحيح مسلم (٢٢٠٠).

(٢) صحيح مسلم (٢١٩٦).

(٣) صحيح مسلم (٢١٩٩).

(٤) صحيح البخاري (٥٧٤٣)، وصحيح مسلم (٢١٩١).

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنَّها لا تجوز.

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقي؟ فقال: « لا بأس بذلك، بالكلام الطيِّب »[1].

د ـ الرقية الممنوعة: كلُّ رقية لم تتوفَّر فيها الشروط المتقدِّمة فإنَّها محرَّمةٌ ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنَّها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسُّلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلك. أو تكون بألفاظ غير مفهومة وطلاسم غير واضحة ولا معلومة، ونحو ذلك.

المطلب الثاني: التمائم.

أ ـ تعريفها: التمائم جمع تميمة، وهي ما يُعلَّق على العنق وغيره من خرزات أو عظام أو نحوها لجلب نفع أو دفع ضر، وكانت العرب في الجاهلية تعلّقها على أولادهم يتَّقون بها العين بزعمهم الباطل.

ب ـ حكمها: إنَّها محرمة، بل هي نوع من أنواع الشرك؛ لما فيها من التعلُّق بغير الله؛ إذ لا دافع إلاَّ الله، ولا يُطلب دفع المؤذيات إلاَّ بالله وأسمائه وصفاته.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

« إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك »، رواه أبو داود[2].

وعن عبد الله بن عكيم رضي الله عنه مرفوعاً: « من تعلَّق

---

(١)

(٢) سنن أبي داود (٣٨٨٣).

شيئاً وكل إليه))، رواه أحمد والترمذي[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: ((من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق ودَعة فلا ودع الله له))، رواه أحمد والحاكم[2].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((من علَّق تميمة فقد أشرك))، رواه أحمد[3].

جـ - وإذا كان المعلَّق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فذهب بعضُهم إلى جواز ذلك، ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

١ - عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.

٢ - سدًّا للذريعة، فإنَّه يُفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

٣ - أنَّه إذا علَّق فلا بدَّ أن يمتهن المعلَّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.

٤ - أنَّ الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معيَّنة، وهي القراءة به على المريض فلا تُتجاوز.

المطلب الثالث: لبس الحلقة والخيط ونحوها.

أ - الحلقة قطعة مستديرة من حديد أو ذهب أو فضة أو نحاس أو نحو ذلك، والخيط معروف، وقد يُجعل من الصوف

---

(١) مسند أحمد (٣١٠/٤)، وسنن الترمذي (٢٠٧٢).

(٢) مسند أحمد (١٥٤/٤)، ومستدرك الحاكم (٢٤٠/٤).

(٣) مسند أحمد (١٥٦/٤).

أو الكتان أو نحوه، وكانت العرب في الجاهلية تعلّق هذا ومثله لدفع الضر أو جلب النفع أو اتّقاء العين، والله تعالى يقول: {**قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍّ هل هنّ كاشفات ضُرِّه أو أرادني برحمة هل هنَّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكَّل المتوكِّلون**}[1]، ويقول تعالى: {**قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضُرِّ عنكم ولا تحويلا**}[2].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها؛ فإنَّها لا تزيدك إلاَّ وهناً، انبذها عنك، فإنَّك لو متَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبداً))، رواه أحمد[3].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ((أنَّه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: {**وما يؤمن أكثرهم بالله إلاَّ وهم مشركون**}[4]))[5].

ب ـ حكم لبس الحلقة والخيط ونحو ذلك، محرَّم فإن اعتقد لابسُها أنها مؤثِّرة بنفسها دون الله فهو مشرك شركاً أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنَّه اعتقد وجود خالق مدبِّر مع الله تعالى الله

---

(١) الزّمر: ٣٨.

(٢) الإسراء: ٥٦.

(٣) المسند (٤/٤٤٥).

(٤) يوسف: ١٠٦.

(٥)

عمَّا يشركون.

وإن اعتقد أنَّ الأمر لله وحده وأنَّها مجرَّد سبب، ولكنه ليس مؤثِّراً فهو مشرك شركاً أصغر، وفعله هذا ذريعة للانتقال للشرك الأكبر إذا تعلَّق قلبُه بها ورجا منها جلب النعماء أو دفع البلاء.

المطلب الخامس: التبرُّك بالأشجار والأحجار ونحوها.

التبرُّك هو طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١ ـ أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم، مثل القرآن، قال الله تعالى: {**وهذا كتاب أنزلناه مبارك**}[١]، فمن بركته هدايته للقلوب وشفائه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢ ـ أن يكون التبرك بأمر غير مشروع، كالتبرك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب والبقاع ونحو ذلك، فهذا كلُّه من الشرك.

فعن أبي واقد الليثي قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حُدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يُقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنَّها السنن، قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {**اجعل لنا إلـها كما لهم آلـهة**

---

(١) الأنعام: ٩٢، ١٥٥.

قال إنَّكم قوم تجهلون}[1]، لتركبنَّ سَنَن من كان قبلكم »، رواه الترمذي وصححه[2].

فقد دلَّ هذا الحديث على أنَّ ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار ونحوها من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولهذا أخبر في الحديث أنَّ طلبَهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: {**اجعل لنا إلـها كما لهم آلـهة**} فهؤلاء طلبوا سدرةً يتبرَّكون بها كما يتبرَّك المشركون، وأولئك طلبوا إلـهاً كما لهم آلهـة، فيكون في كلا الطلبين منافاة للتوحيد؛ لأنَّ التبرك بالشجر نوع من الشرك، واتِّخاذ إلـه غير الله شرك واضح.

وفي قوله ﷺ في الحديث: « لتركبنَّ سَنَن من كان قبلكم » إشارة إلى أنَّ شيئاً من ذلك سيقع في أمته ﷺ، وقد قال ذلك عليه الصلاة والسلام ناهياً ومحذِّراً.

المطلب الخامس: النهي عن أعمال تتعلَّق بالقبور.

لقد كان الأمر في صدر الإسلام على منع زيارة القبور حماية لحِمى التوحيد وصيانة لجنابه، ولما حسن الإيمان وعظم شأنه في الناس جاءت مشروعية زيارة القبور محددَّة أهدافها موضحة مقاصدها.

عن بُريدة بن الحُصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الأعراف: ١٣٨.

(٢) سنن الترمذي (٢١٨٠).

((نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها))، رواه مسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((زوروا القبور فإنَّها تُذكِّر الموت))، رواه مسلم[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((إنِّي نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنَّ فيها عبرة))، رواه أحمد[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنَّها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هُجراً))، رواه الحاكم[4].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ يعلِّمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية))، رواه مسلم[5].

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدلُّ على أنَّ مشروعية زيارة القبور بعد المنع من ذلك إنَّما كانت لهدفين عظيمين وغايتين جليلتين:

الأولى: تذكر الآخرة والموت والبلى، والاعتبار بأهل القبور

---

(١) صحيح مسلم (٩٧٧).

(٢) صحيح مسلم (٩٧٦).

(٣) مسند أحمد (٣٨/٣).

(٤) مستدرك الحاكم (٥٣٢/١).

(٥) صحيح مسلم (٩٧٥).

مِمَّا يزيد في إيمان الشخص ويقوِّي يقينه ويعظم صلته بالله، ويذهب عنه الإعراض والغفلة.

الثانية: الدعاء للأموات والترحم عليهم وطلب المغفرة لهم وسؤال الله العفو عنهم.

هذا الذي دلَّ عليه الدليل، ومن ادَّعى غير ذلك طولب بالحجة والبرهان.

ثم إنَّ السنة قد جاءت بالنهي عن أمور عديدة متعلّقة بالقبور وزيارتها، صيانة للتوحيد وحماية لجنابه، يجب على كلِّ مسلم تعلُّمها ليكون في أمنة من الباطل وسلامة من الضلال، ومن ذلك:

١ ـ النهي عن قول الهجر عند زيارة القبور.

وقد تقدّم قوله ﷺ: « ولا تقولوا هجراً »، والمراد بالهجر كل أمر محظور شرعاً، ويأتي في مقدِّمة ذلك الشرك بالله بدعاء المقبورين وسؤالهم من دون الله والاستغاثة بهم وطلب المدد والعافية منهم، فكلُّ ذلك من الشرك البواح والكفر الصُراح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث عديدة صريحة في المنع من ذلك والنهي عنه ولعن فاعله، ففي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه أنَّه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: « ألا إنَّ من كان قبلكم كان يتَّخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد فإنِّي أنهاكم عن ذلك »[1].

---

(١) صحيح مسلم (٥٣٢).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أنَّه ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه: « لعن الله اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[1].

٢ ـ الذبح والنحر عند القبور.

لقوله ﷺ: « لا عقر في الإسلام »، قال عبد الرزاق: « كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة ». أخرجه أبو داود[2].

٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ـ رفعها زيادة على التراب الخارج منها، وتجصيصها، والكتابة عليها، والبناء عليها، والقعود عليها.

فعن جابر رضي الله عنه قال: « نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه، وأن يُزاد عليه، أو يُكتب عليه ». رواه مسلم، وأبو داود، والحاكم[3].

٨ ـ الصلاة إلى القبور وعندها.

فعن أبي مرثد الغنوي قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « لا تصلُّوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها »، رواه مسلم[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« الأرض كلُّها مسجد، إلاَّ المقبرة والحمام ». رواه أبو داود

---

(١) صحيح البخاري (١٣٣٠)، وصحيح مسلم (٥٣١).

(٢) سنن أبي داود (٣٢٢٣).

(٣) صحيح مسلم (٩٧٠)، وسنن أبي داود (٣٢٢٥)، (٣٢٢٦)، ومستدرك الحاكم (٥٢٥/١).

(٤) صحيح مسلم (٩٧٢).

والترمذي[1].

٩ ـ بناء المساجد عليها.

وتقدَّم حديث عائشة: ((لعن الله اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد)).

١٠ ـ اتَّخاذها عيداً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تتَّخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وحيثما كنتم فصلُّوا عليَّ، فإنَّ صلاتَكم تبلغني))، رواه أبو داود وأحمد[2].

١١ ـ شدُّ الرِّحال إليها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: ((لا تُشدُّ الرِّحال
إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى)). رواه البخاري ومسلم[3].

المطلب السادس: التوسل.

أ ـ تعريفه: التوسل مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلى المراد والسعي في تحقيقه.

وفي الشرع يُراد به التوصل إلى رضوان الله والجنة؛ بفعل ما شرعه وترك ما نهى عنه.

---

(١) سنن أبي داود (٤٩٢)، وسنن الترمذي (٣١٧).

(٢) سنن أبي داود (٢٠٤٢)، ومسند أحمد (٣٦٧/٢).

(٣) صحيح البخاري (١١٩٠)، وصحيح مسلم (١٣٩٧).

ب ـ معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة « الوسيلة » في القرآن الكريم في موطنين:

١ ـ قوله تعالى: {**يا أيها الذين آمنوا اتَّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلَّكم تفلحون**}[١].

٢ ـ قوله تعالى: {**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة ويرجون رحمته ويخافون عذابه إنَّ عذاب ربِّك كان محذوراً**}[٢].

والمراد بالوسيلة في الآيتين، أي: القربة إلى الله بالعمل بما يرضيه، فقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ معنى الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد[٣].

وأما الآية الثانية فقد بيَّن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: « نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنِّ، فأسلم الجنيُّون، والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون »[٤].

وهذا صريح في أنَّ المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة، ولذلك قال:

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) الإسراء: ٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير (٥٠/٢).

(٤) صحيح مسلم (٣٠٣٠).

{**يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة**} أي يطلبون ما يتقرَّبون به إلى الله وينالون به مرضاته من الأعمال الصالحة المقرِّبة إليه.

جـ ـ أقسام التوسل:

ينقسم التوسُّل إلى قسمين: توسُّل مشروع، وتوسُّل ممنوع.

١ ـ التوسُّل المشروع: هو التوسُّل إلى الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، والطريقُ الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دلَّ الكتاب والسنة على أنَّه وسيلة مشروعة فهو من التوسُّل المشروع، وما سوى ذلك فإنَّه توسُّل ممنوع.

والتوسُّل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسُّل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العظيمة، كأن يقول في المسلم دعائه: اللَّهمَّ إنِّي أسألك بأنَّك الرحمن الرحيم أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كلَّ شيء أن تغفر لي وترحمني، ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسُّل قوله تعالى: {**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**}(١).

الثاني: التوسُّل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللَّهمَّ بإيماني بك، ومحبَّتي لك، واتِّباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللَّهمَّ إنِّي أسألك بحبِّي لنبيِّك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عنِّي، أو أن يذكر الداعي عملاً صالحاً ذا

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

بال قام به فيتوسَّل به إلى ربِّه.

ويدلُّ على مشروعيته قوله تعالى: {**الذين يقولون ربَّنا إنَّنا آمنَّا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**}[1]، وقوله تعالى: {**ربَّنا آمنَّا بما انزلتَ واتَّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**}[2].

ومن ذلك ما تضمَّنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « بينما ثلاثة نفر مِمَّن كان قبلكم يمشون إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضُهم لبعض: إنَّه والله يا هؤلاء لا يُنجيكم إلاَّ الصدق، فلْيدعُ كلُّ رجل منكم بما يعلم أنَّه قد صدق فيه، فقال واحدٌ منهم: اللَّهمَّ إن كنتَ تعلم أنَّه كان لي أجيرٌ عمل لي على فَرَق من أرُزٍّ فذهب وتركه، وأنِّي عمدتُ إلى ذلك الفرَق فزرعته، فصار من أمره أنِّي اشتريتُ منه بقراً، وأنَّه أتاني يطلبُ أجره، فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقر فسُقها، فقال لي: إنَّما لي عندك فرَق من أَرُزٍّ، فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقر، فإنَّها من الفرق، فساقها، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا، فانساخت عنهم الصخرة، فقال الآخر: اللَّهمَّ إن كنتَ تعلم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ آتيهما كلَّ ليلة بلبن غنم لي، فأبطأتُ عليهما ليلة، فجئتُ وقد رقدا، وأهلي وعِيالي يتضاغون من الجوع، فكنتُ لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهتُ أن أوقظهما،

---

(١) آل عمران: ١٦.

(٢) آل عمران: ٥٣.

وكرهتُ أن أدعهما فيستكنَّا لشربتهما، فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا، فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء، فقال الآخر: اللَّهمَّ إن كنتَ تعلم أنَّه كانت لي ابنةُ عمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ، وإنِّي راودتُها عن نفسها فأبت إلاَّ أن آتيها بمائة دينار، فطلبتُها حتى قدرتُ، فأتيتُها بها فدفعتُها إليها فأمكنتني من نفسها، فلمَّا قعدتُ بين رجليها فقالت: اتَّق الله ولا تفُضَّ الخاتَم إلاَّ بحقِّه، فقمتُ وتركتُ المائة دينار، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا، ففرَّج الله عنهم فخرجوا)). رواه البخاري[1].

الثالث: التوسُّل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي تُرجى إجابة دعائه، كأن يذهب المسلم إلى رجل يرى فيه الصلاح والتقوى والمحافظة على طاعة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربَّه ليُفرِّج كربتَه ويُيسِّر أمره.

ويدلُّ على مشروعية هذا النوع أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبيَّ ﷺ أن يدعو لهم بدعاء عام ودعاء خاص.

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أنَّ رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبل رسولَ ﷺ قائماً فقال: يا رسول الله

(١) صحيح البخاري (٣٤٦٥).

هلكت المواشي وانقطعت السُّبل، فادع الله يُغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللَّهمَّ اسقنا، اللَّهمَّ اسقنا، اللَّهمَّ اسقنا، قال أنسٌ: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئاً، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلمَّا توسَّطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستًّا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ـ ورسول الله ﷺ قائم يخطب ـ فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السُّبل، فادع الله يُمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللَّهمَّ حوالينا ولا علينا، اللَّهمَّ على الآكام والجبال والظِّراب ومنابت الشجر، قال: فانقطت، وخرجنا نمشي في الشمس ». قال شريك: فسألتُ أنساً: أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري[1].

وفي الصحيحين أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا ذكر أنَّ في أمَّته سبعين ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب ولا عذاب وقال: « هم الذي لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيَّرون وعلى ربِّهم يتوكَّلون » قام عُكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: « أنت منهم »[2].

وهذا النوع من التوسُّل إنَّما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنَّه لا عمل له.

٢ ـ **التوسُّل الممنوع:** هو التوسُّل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشريعة أنَّه وسيلة، وهو أنواع بعضُها أشدُّ خطورة

---

(١) صحيح البخاري (١٠١٣)، وصحيح مسلم (٨٩٧).

(٢) صحيح البخاري (٥٧٠٥)، وصحيح مسلم (٢١٨).

من بعض، منها:

١ ـ التوسُّل إلى الله تعالى بدعاء الموتى والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملَّة.

٢ ـ التوسُّل إلى الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلى الشرك الأكبر.

٣ ـ التوسُّل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرَّم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنَّ جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنَّما تنفعهم هم، كما قال الله تعالى: {**وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى**}[١]، ولذا لم يكن هذا التوسُّل معروفاً في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نصَّ على المنع منه وتحريمه غيرُ واحد من أهل العلم:

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((يُكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أوليائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام))[٢].

د ـ شبهات ورَدُّها في باب التوسُّل.

قد يورد المخالفون لأهل السنة والجماعة بعضَ الشبهات والاعتراضات في باب التوسُّل؛ ليتوصَّلوا بها إلى دعم

(١) النجم: ٣٩.

(٢)

تقريراتهم الخاطئة، وليوهموا عوام المسلمين بصحة ما ذهبوا إليه، ولا تخرج شبهات هؤلاء عن أحد أمرين:

الأول: إمَّا أحاديث ضعيفة أو موضوعة يستدلُّ بها هؤلاء على ما ذهبوا إليه، وهذه يُفرغ من أمرها بمعرفة عدم صحَّتِها وثبوتها، ومن ذلك:

١ ـ حديث: « توسَّلوا بجاهي فإنَّ جاهي عند الله عظيم »، أو « إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإنَّ جاهي عند الله عظيم »، وهو حديث باطل لم يروه أحدٌ من أهل العلم، ولا هو في شيء من كتب الحديث[1].

٢ ـ حديث: « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور »، أو « فاستغيثوا بأهل القبور »، وهو حديث مكذوب مفترى على النبي ﷺ باتِّفاق العلماء[2].

٣ ـ حديث: « لو أحسن أحدُكم ظنَّه بحجر لنفعه »، وهو حديث باطل مناقض لدين الإسلام، وضعه بعضُ المشركين[3].

٤ ـ حديث: « لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربِّ أسألك بحقِّ محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفتَ محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا ربِّ لما خلقتني بيدك ونفختَ فيَّ من روحك رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاَّ الله

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣١٩/١)، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص:١٦١،١٤١).

(٢) قاعدة جليلة (ص:١٦٩)، ومنهاج السنة النبوية (٤٨٣/١).

(٣) منهاج السنة النبوية (٤٨٣/١).

محمد رسول الله، فعلمتُ أنَّك لم تضف
إلى اسمك إلاَّ أحب الخلق إليك، فقال: غفرتُ لك ولولا محمد ما
خلقتُك))، وهو حديث باطل لا أصل له[1]، ومثله حديث: ((لولاك ما خلقتُ الأفلاك))[2].

فمثل هذه الأحاديث المكذوبة والروايات المختلقة الملفَّقة لا يجوز لمسلم أن يلتفت إليها فضلاً عن أن يحتجَّ بها ويعتمدها في دينه.

الثاني: أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ يُسيئ هؤلاء فهمها ويُحرِّفونها عن مرادها ومدلولها، ومن ذلك:

١ ـ ما ثبت في الصحيح: ((أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا، قال: فيُسقون))[3].

فَفهموا من هذا الحديث أن توسُّل عمر رضي الله عنه إنَّما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ المراد بقوله: ((كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا [أي بجاهه] فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا)) [أي بجاهه].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٦٧٤/٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه)). انظر: مجموع الفتاوى (٢٥٤/١ ـ ٢٥٨).

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢٨٢).

(٣) صحيح البخاري (١٠١٠).

وهذا ولا ريب فهم خاطئ وتأويل بعيد لا يدل عليه سياق النص لا من قريب ولا من بعيد؛ إذ لم يكن معروفاً لدى الصحابة التوسُّل إلى الله بذات النبي ﷺ أو جاهه، وإنَّما كانوا يتوسَّلون إلى الله بدعائه حال حياته كما تقدَّم بعض هذا المعنى، وعمر رضي الله عنه لم يُرِد بقوله: ((إنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا)) أي ذاته أو جاهه، وإنَّما أراد بذلك دعاءه، ولو كان التوسُّل بالذات أو الجاه معروفاً لما عدل عمر عن التوسُّل بالنبي ﷺ إلى التوسُّل بالعبَّاس رضي الله عنه، بل ولقال له الصحابة إذ ذاك كيف نتوسَّل بمثل العباس ونعدل عن التوسُّل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، فلَمَّا لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنَّهم في حياته إنَّما توسَّلوا بدعائه، وبعد مماته توسَّلوا بدعاء غيره علم أنَّ المشروع عندهم التوسُّل بدعاء المتوسّل لا بذاته.

وبهذا يتبيَّن أنَّ الحديث ليس فيه متمسكٌ لمن يقول بجواز التوسُّل بالذات أو الجاه.

٢ ـ حديث عثمان بن حنيف: ((أنَّ رجلاً ضرير البصر أتى النبيَّ ﷺ فقال: ادع الله أن يُعافيني، قال: إن شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرتَ فهو خيرٌ لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضَّأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمد نبيِّ الرحمة، إنِّي توجَّهتُ بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللَّهمَّ فشفِّعه فيَّ))، رواه

الترمذي وأحمد[1].

ففهموا من الحديث أنَّه يدل على جواز التوسُّل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الصالحين، وليس في الحديث ما يشهد لذلك، فإنَّ الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يردَّ الله عليه بصرَه، فقال له: ((إن شئت صبرتَ وإن شئتَ دعوتُ))، فقال: فادعه، إلى غير ذلك من الألفاظ الواردة في الحديث المصرِّحة بأنَّ هذا توسُّل بدعاء النبي ﷺ لا بذاته أو جاهه؛ ولذا ذكر أهل العلم هذا الحديث من معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب، فإنَّه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصرَه.

وأما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإنَّ مثل هذا لا يمكن أن يكون لتعذُّر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت، كما قال النبي ﷺ: ((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له))، رواه مسلم[2].

والدعاء من الأعمال الصالحة التي تنقطع بالموت.

وعلى كلٍّ فإنَّ جميعَ ما يتعلَّق به هؤلاء لا حجة فيه؛ إمَّا لعدم صحته، أو لعدم دلالته على ما ذهبوا إليه.

المطلب السابع: الغلو.

أ ـ تعريفه: الغلو في اللغة هو مجاوزة الحدِّ، بأن يزيد في حمد الشيء أو ذمِّه على ما يستحق.

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٧٨)، ومسند أحمد (١٣٨/٤).

(٢) صحيح مسلم (١٦٣١).

وفي الشرع: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة.

ب ـ حكمه: التحريم؛ قال الله تعالى: {**يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق**}[1].

وقال تعالى: {**قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتَّبعوا أهواء قوم قد ضلُّوا من قبل وأضلُّوا كثيراً وضلُّوا عن سواء السبيل**}[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إيَّاكم والغلو، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين))، رواه أحمد[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((هلك المتنطِّعون))، قالها ثلاثاً، رواه مسلم[4].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، إنَّما أنا عبد الله ورسوله))، رواه البخاري[5].

والمراد بهذا الحديث، أي: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادَّعوا فيه الربوبيَّة والألوهية،

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) المائدة: ٧٧.

(٣) المسند (٣٤٧/١).

(٤) صحيح مسلم (٢٦٧٠).

(٥) صحيح البخاري (٣٤٤٥).

وإنَّما أنا عبد الله فصِفوني كما وصفني به ربِّي، وقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى الضُلاَّل إلاَّ مخالفةً لأمره وارتكاباً لنهيه وناقضوه أعظم المناقضة فغلوا فيه وبالغوا في إطرائه وادّعوا فيه ما ادَّعت النصارى في عيسى أو قريباً، فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وشفاء الأمراض ونحو ذلك ممَّا هو مختصٌّ بالله وحده لا شريك له، وكلُّ ذلك من الغلوِّ في الدِّين.

المبحث الرابع: الشرك والكفر وأنواعهما.

ما من ريب أنَّ في معرفة المسلم بالشرك والكفر وأسبابهما ووسائلهما وأنواعهما فوائد عظيمة، إذا عرفها معرفة يقصد من ورائها السلامة من هذه الشرور والنجاة من تلك الآفات، والله سبحانه يحبُّ أن تُعرف سبيل الحق لتحب وتُسلك، ويحبُّ أن تُعرف سبيلُ الباطل لتُجتنب وتُبغض، والمسلم كما أنَّه مطالب بمعرفة سبيل الخير ليُطبِّقها، فهو كذلك مُطالب بمعرفة سبل الشرِّ ليحذرها، ولهذا ثبت في الصحيحين عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنَّه قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني))[١].

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((إنَّما تُنقض عُرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف

---

(١) صحيح البخاري (٧٠٨٤)، وصحيح مسلم (١٨٤٧).

الجاهلية))[1].

والقرآن الكريم مليء بالآيات المبيِّنة للشرك والكفر والمحذِّرة من الوقوع فيهما، والدَّالة على سوء عاقبتهما في الدنيا والآخرة، بل إنَّ ذلك مقصد عظيم من مقاصد القرآن الكريم، كما قال الله تعالى: {**وكذلك نفصِّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**}[2].

وفيما يلي ذكر لبعض المطالب المهمة المتعلّقة بهذا الجانب.

المطلب الأول: الشرك.

أ ـ تعريفه: يُطلق الشرك في اللغة على التسوية بين الشيئين.

وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

١ ـ المعنى العام: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه سبحانه، ويندرج تحته ثلاثة انواع:

الأول: الشرك في الربوبية، وهو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الربوبية، أو نسبة شيء منها إلى غيره، كالخلق والرزق والإيجاد والإماتة والتدبير لهذا الكون ونحو ذلك.

قال تعالى: {**هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء**

---

(١)

(٢) الأنعام: ٥٥).

والأرض لا إله إلاَّ هو فأنَّى تؤفكون}[1].

الثاني: الشرك في الأسماء والصفات، وهو تسوية غير الله بالله في شيء منها، والله تعالى يقول: {**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**}[2].

الثالث: الشرك في الألوهية، وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الألوهية، كالصلاة والصيام والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحو ذلك.

قال الله تعالى: {**ومن الناس من يتَّخذ من دون الله أنداداً يُحبِّونهم كحبِّ الله**}[3].

٢ ـ المعنى الخاص: وهو أن يتَّخذ لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا هو المعنى المتبادر من كلمة « الشرك » إذا أُطلقت في القرآن أو السنة.

ب ـ الأدلة على ذمِّ الشرك وبيان خطره.

لقد تنوَّعت دلالة النصوص على ذم الشرك والتحذير منه وبيان خطره وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة.

١ ـ فقد اخبر الله سبحانه أنَّه الذنب الذي لا يُغفر، فقال تعالى: {**إنَّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن**

---

(١) فاطر: ٣.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) البقرة: ١٦٥.

يشاء}[1].

٢ ـ ووصفه بأنَّه أظلم الظلم، فقال تعالى: {**إنَّ الشرك لظلم عظيم**}[2].

٣ ـ وأخبر أنَّه محبطٌ للأعمال، فقال تعالى: **{ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركتَ ليحبطنَّ عملُك ولتكوننَّ من الخاسرين}**[3].

٤ ـ ووصفه بأنَّ فيه تنقُّصٌ لربِّ العالمين ومساواةٌ لغيره به، فقال تعالى: {**قالوا وهم فيها يختصمون تا اللَّه إن كنَّا لفي ضلال مبين إذ نُسوِّيكم بربِّ العالمين**}[4].

٥ ـ وأخبر أنَّ من مات عليه يكون مخلَّداً في نار جهنَّم، فقال تعالى: {**إنَّه من يُشرك بالله فقد حرَّم اللَّه عليه الجنَّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**}[5].

إلى غير ذلك من أنواع الأدلة، وهي كثيرة جدًّا في القرآن الكريم.

جـ ـ سبب وقوع الشرك:

إنَّ أصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هو الغلو في الصالحين المعظمين، وتجاوز الحدِّ في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، قال الله تعالى: {**وقالوا لا تذرُنَّ آلـهتكم ولا**

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) الزمر: ٦٥.

(٤) الشعراء: ٩٦ ـ ٩٩.

(٥) المائدة: ٧٢.

تذرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلُّوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلاَّ ضلالا}[1]، فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح لمَّا ماتوا جعلوا لهم أصنامهم على صُورهم وسمَّوها بأسمائهم قاصدين بذلك تعظيمهم وتخليد ذكرهم وتذكر فضلهم إلى أن آل بهم الأمر إلى عبادتهم.

ويشهد لهذا ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: ((صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما وَد فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن نصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسمَّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت))[2].

روى ابن جرير الطبري عن محمد بن قيس عند قوله تعالى: {**وقالوا لا تذرُنَّ آلـهتكم**} الآية، قال: ((كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوَّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوَّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنَّما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقون

---

(١) نوح: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

المطر، فعبدوهم))[1].

د ـ أنواع الشرك: ينقسم الشرك إلى قسمين: أكبر وأصغر.

١ ـ الشرك الأكبر: هو اتِّخاذ نِدٍّ مع الله يعبد كما يُعبد الله، وهو ناقل من ملَّة الإسلام محبطٌ للأعمال كلِّها، وصاحبه إن مات عليه يكون مخلَّداً في نار جهنَّم لا يُقضى عليه فيموت ولا يُخفف عنه من عذابها.

أنواع الشرك الأكبر: وينقسم الشرك الأكبر إلى أربعة أنواع:

١ ـ شرك الدعوة، أي الدعاء، وذلك أنَّ الدعاء من أعظم أنواع العبادة، بل هو لبُّ العبادة كما قال النبي ﷺ: ((الدعاء هو العبادة))، رواه أحمد وغيره[2]، قال الله تعالى: {**وقال ربُّكم ادعوني أستجب لكم إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنَّم داخرين**}[3].

ولما ثبت أنَّ الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمَن دعا نبيًّا أو ملَكاً أو وليًّا أو قبراً أو حجراً أو غيرَ ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر، كما قال تعالى: {**ومن يدع مع الله إلـهاً آخر لا برهان له به فإنَّما حسابه عند ربِّه إنَّه لا يُفلح الكافرون**}[4].

ومن الأدلة على أنَّ الدعاء عبادة وأنَّ صرفه لغير الله

---

(١) تفسير الطبري (٢٥٤/١٢).

(٢) مسند أحمد (٢٦٧/٤)، وسنن الترمذي (٢٩٦٩).

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) المؤمنون: ١١٧.

شرك قولُه تعالى: {**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمَّا نجَّاهم إلى البرِّ إذا هم يشركون**}[1]، فأخبر عن هؤلاء المشركين بأنَّهم يشركون بالله في رخائهم، ويُخلصون له في كربهم وشدَّتهم، فكيف بمَن يُشرك بالله في الرخاء والشدَّة عياذاً بالله.

٢ ـ شرك النيَّة والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أوالسمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخُلَّص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: {**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاَّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كاونوا يعملون**}[2].

وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة.

٣ ـ شرك الطاعة، فمَن أطاع المخلوقين في تحليل ما حرَّم الله أو تحريم ما أحلَّ الله، ويعتقد ذلك بقلبه مع علمه بأنَّه مخالفٌ لدين الإسلام فقد اتَّخذهم أرباباً من دون الله وأشرك بالله الشرك الأكبر.

قال الله تعالى: {**اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أُمروا إلاَّ ليعبدوا إلـهاً واحداً لا إله**

---

(١) العنكبوت: ٦٥.

(٢) هود: ١٥ ـ ١٦.

إلاَّ هو سبحانه عمَّا يُشركون}[1].

وتفسير الآية الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إيَّاهم، كما فسَّرها النبيُّ ﷺ لعدي بن حاتم لمَّا سأله فقال: لسنا نعبدهم؟ فذكر له أنَّ عبادتهم طاعتهم في المعصية، فقال: ((أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتُحرِّمونه ويُحلُّون ما حرَّم الله فتُحلّونه))، قال: بلى. قال: ((فتلك عبادتهم))، رواه الترمذي وغيره[2].

٤ ـ شرك المحبَّة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذُلِّ والخضوع التي لا تنبغي إلاَّ لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبدُ هذه المحبَّة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر، والدليل قوله تعالى: **{ومن الناس من يتَّخذ من دون الله أنداداً يُحبُّونهم كحبِّ الله والذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله}**[3].

٢ ـ النوع الثاني من أنواع الشرك، الشرك الأصغر:

وهو كلُّ ما كان ذريعةً إلى الشرك الأكبر ووسيلةً للوقوع فيه، وهو يقع في هيئة العمل وأقوال اللسان.

ومن أمثلته ما يلي:

أ ـ يسير الرياء، والدليل ما رواه الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنَّه قال: ((إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) سنن الترمذي (٣٠٩٥)، والمعجم الكبير للطبراني (٩٢/١٧).

(٣) البقرة: ١٦٥.

))، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: ((الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))[1].

ب ـ قول: ((ما شاء الله وشئت))، روى أبو داود في سننه عن النبي ﷺ: ((لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان))[2].

جـ ـ قول: ((لولا الله وفلان))، أو قول: ((لولا البط لأتانا اللصوص))، ونحو ذلك، روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: {**فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**} قال: ((الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لأصحابه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، هذا كلُّه به شرك))[3].

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروقات عديدة، أهمُّها ما يلي:

---

(١) مسند أحمد (٥/٤٢٨).

(٢) سنن أبي داود (٤٩٨٠).

(٣)

١ ـ أنَّ الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه، وأما الأصغر فتحت المشيئة، وقيل إنَّه لا يغفر لصاحبه إلاَّ بالتوبة كالأكبر.

٢ ـ أنَّ الشرك الأكبر محبطٌ لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يُحبط إلاَّ العمل الذي قارنه.

٣ ـ أنَّ الشرك الأكبر مخرجٌ لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤ ـ أنَّ الشرك الكبر صاحبه خالدٌ في النار، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

المطلب الثاني: الكفر.

أ ـ **تعريفه:** الكفر لغة يُطلق على الستر والتغطية.

وشرعاً: ضد الإيمان، وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شك وريب، أو إعراض عن ذلك حسداً وكبراً أو اتِّباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتِّباع الرسالة.

ب ـ أنواع الكفر:

الكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود.

أولاً: الكفر الأكبر.

وهو خمسة انواع:

١ ـ كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذَّب بهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطناً فقد كفر، والدليل

قوله تعالى: {**ومن أظلم ممَّن افترى على الله كذباً أو كذَّب بالحق لمَّا جاءه أليس في جهنَّم مثوى للكافرين**}[١].

٢ ـ كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، وذلك بأن يكون عالماً بصدق الرسول، وأنَّه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يُذعن لأمره، استكباراً وعناداً، والدليل قوله تعالى: {**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**}[٢].

٣ ـ كفر الشك، وهو التردُّد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظنّ، وهو ضدّ الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: {**ودخل جنّته وهو ظالم لنفسه قال ما أظنّ أن تبيد هذه أبدا وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدنّ خيراً منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثمّ سوّاك رجلاً لكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً**}[٣].

٤ ـ كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلّي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، والدليل قوله تعالى: {**والذين كفروا عمّا أُنذروا معرضون**}[٤].

٥ ـ كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر

---

(١) العنكبوت: ٦٨.

(٢) البقرة: ٣٤.

(٣) الكهف: ٣٥ ـ ٣٨.

(٤) الأحقاف: ٣.

الإيمان ويبطن الكفر، والدليل قوله تعالى: {**ذلك بأنهم آمنوا ثمّ كفروا فطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**}[1].

والنفاق على ضربين:

١ ـ نفاق اعتقاد وهو كفر أكبر ناقل من الملّة وهو ستّة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول.

٢ ـ ونفاق عملي وهو كفر أصغر لا ينقل من الملّة، إلاّ أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال: « أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعَها: إذا اؤتُمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر » متفق عليه[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: « آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان »، رواه البخاري[3].

ثانياً: الكفر الأصغر

وهو لا يخرج صاحبه من الملّة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النِّعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حدّ الكفر

---

(١) المنافقون: ٣.

(٢) صحيح البخاري (٣٤)، وصحيح مسلم (٥٨).

(٣) صحيح البخاري (٣٣).

الأكبر. ومن الأمثلة عليه:

ما ورد في قوله تعالى: {**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**}[١].

وفي قوله ﷺ: « اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب والنياحة على الميِّت »، رواه مسلم[٢].

وفي قوله ﷺ: « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقاب
بعض »، رواه البخاري ومسلم[٣].

فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يُخرج من الملَّة الإسلامية.

المبحث الخامس: ادِّعاء علم الغيب وما يلحق به.

الغيب هو كلُّ ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله عزَّ وجلَّ بعلمه واختصَّ نفسه سبحانه بذلك.

قال الله تعالى: {**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلاَّ الله**}[٤]، وقال تعالى: {**له غيب السموات**

---

(١) النحل: ١١٢.

(٢) صحيح مسلم (٦٧).

(٣) صحيح البخاري (١٢٣)، وصحيح مسلم (٦٥).

(٤) النمل: ٦٥.

والأرض}[1]، وقال تعالى: {**عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال**}[2].

فلا يعلم الغيب أحدٌ إلاَّ الله، لا مَلَك مُقرَّب ولا نبي مرسل فضلاً عمَّن هو دونهما.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: {**ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**}[3]، وقال تعالى عن هود عليه السلام: {**قل إنَّما العلم عند الله وأبلِّغكم ما أرسلت به**}[4]، وقال تعالى لنبيِّه محمد عليه الصلاة والسلام: {**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب**}[5]، وقال تعالى: {**وعلَّم آدم الأسماء كلَّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلاَّ ما علَّمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم**}[6].

ثم إنَّه سبحانه قد يطلع بعضَ خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما قال تعالى: {**فلا يُظهر على غيبه أحداً إلاَّ من ارتضى من رسول فإنَّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربّهم وأحاط بما**

---

(١) الكهف: ٢٦.

(٢) الرعد: ٩.

(٣) هود: ٣١.

(٤) الأحقاف: ٢٣.

(٥) الأنعام: ٥٠.

(٦) البقرة: ٣١ ـ ٣٢.

لديهم وأحصى كلَّ شيء عدداً}[1]، وهذا من الغيب النسبي الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، أما الغيب المطلق فلا يعلمه إلاّ هو سبحانه، ومن ذا الذي يدّعي علمه وقد استأثر الله به.

ولهذا فإنَّ الواجب على كلِّ مسلم أن يحذر من الدجاجلة والكذابين المدَّعين لعلم الغيب المفترين على الله، الذين ضلُّوا في أنفسهم وأضلُّوا كثيراً وضلُّوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذَّابين والمنجِّمين، وغيرهم.

وفيما يلي عرضٌ لجمله من أعمال هؤلاء التي يدعون بها علم الغيب، ويُضلُّون بها عوامَّ المسلمين وجهَّالهم، ويُفسدون بها عقيدتهم وإيمانهم.

١ ـ **السحر**: وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه.

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعُقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق، قال الله تعالى: {**واتَّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سُليمان ولكنَّ الشياطين كفروا يُعلِّمون الناس السحرَ وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يُعلِّمان من أحد حتى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلَّمون منهما ما يُفرِّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارِّين به من أحد إلاَّ بإذن الله ويتعلَّمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم ولقد علموا لَمَن اشتراه ما**

---

(١) الجن: ٢٦ ـ ٢٨.

له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون}[1].

ومنه النفث في العُقد، قال الله تعالى: {**قل أعوذ بربِّ الفلق من شرِّ ما خلق ومن شرِّ غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شرِّ حاسد إذا حسد**}.

٢ ـ **التنجيم:** وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد))، رواه أبو داود[2].

٣ ـ **زجر الطير والخط في الأرض:** فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((العيافة والطيرة والطرق من الجبت))[3]، أي من السحر، والعيافة زجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرِّها، والطرق الخط يخطُّ في الأرض، أو الضرب بالحصى وادِّعاء علم الغيب.

٤ ـ **الكهانة:** وهي ادِّعاء علم الغيب، والأصل فيها استراق الجنِّ السمعَ من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)) رواه

---

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) سنن أبي داود (٣٩٠٥).

(٣) سنن أبي داود (٣٩٠٧)، ومسند أحمد (٤٧٧/٣).

أبو داود وأحمد[1].

٥ ـ كتابة حروف أبا جاد: وذلك بأن يجعل لكلّ حرف منها قدراً معلوماً من العدد ويجري على ذلك أسماء الآدميّين والأزمنة والأمكنة، ثمّ يحكم عليها بالسعود أو النحوس ونحو ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم: « ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق »، رواه عبد الرزاق في المصنف[2].

٦ ـ التنويم المغناطيسي: وهو ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جنّي يسلّطه المنوِّم على المنوَّم فيتكلّم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بسيطرته عليه، ولا يتّم ذلك إلاّ بالتقرّب إلى الجنّ والالتجاء إليهم، وهو شرك بالله العظيم.

٧ ـ القراءة في الكفّ والفنجان ونحو ذلك مما يدّعي به بعض هؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة وفقر وغنى وصحّة ومرض ونحو ذلك.

٨ ـ تحضير الأرواح: ويزعم أربابه أنّهم يسحضرون أرواح الموتى ويسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نوع من الدجل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس على الجهّال والتوصل إلى دعوى علم الغيب.

---

(١) سنن أبي داود (٣٩٠٤)، ومسند أحمد (٤٢٩/٢).

(٢) المصنف (٢٦/١١).

٩ ـ **التطير**: وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتخويفه.

فعن عمران بن حصين مرفوعاً: « ليس منّا من تطيّر أو تُطيِّر له، أو تكهَّن أو تُكهِّن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ »، رواه البزار[١].

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، ويمنحهم الفقه في الدين، ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين.



(١) مسند البزار (٥٢/٩) (٣٥٧٨).